وقع المنجز اللساني التّداولي في الخطاب الأدبي

لاميـــة حمـــــزة

جامعة أبو القاسم سعد الله ـ الجزائر 2

lamiamelia16@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/07/04	2019/07/24	2020/06/05

مُلخّص البحث

تشكل التداولية منعرجا مهما في مسار البحث اللّساني الذي ظلّ ردحا من الزمن عند الغرب رهينا للبنية اللّغوية، منغلقا عليها لا يأبه بما ينتجها من ظروف و ملابسات خارجية، حتى جاءت التّداولية بطرح مغاير تخطت به ما أقرته البنوية؛ و ذلك بوصفها حقلا لسانيا يصب اهتمامه على البعد الاستعمالي و الإنجاز الفعلي للغة، بفضل ما تتيحه من آليات إجرائية و استراتيجيات فعالة لتحليل مختلف الخطابات و تفسيرها، على ضوء السّياقات الواردة فيها و وفق المعطيات و الملابسات المقامية التي أنتجت فيها هذه الخطابات، و باهتمامها بهذا الجانب المهم من اللّغة و العملية التّواصلية، فتحت الآفاق أكثر فأكثر للدّرس اللّساني للوصول إلى المعنى و للتركيز على أهم شيء في اللّغة و العملية التواصلية و هو إنتاج الكلام و تأويله.

و صحيح أنّ التداولية تعدّ فرعا من الدّراسات اللّسانية المعاصرة التي تبحث في اللغة، إلا أنّ تناولنا لهـذا الموضوع يندرج في إطار تطبيق النظريات اللسانية المعاصرة على الخطاب الأدبي، ذلك أننا و كما نعلم فإنّ الاتّجـــاه التّداولـــي يهتم بالدراســـات اللغوية أهمها: اللسانيات، و البلاغـة، و المنطق، و علم الاجتماع... و لكن بعدها و في مراحـل متطـــوّرة جداً تجاوزت التداولية حدود اللغة لتنتقـل إلى مجال الأدب و تتحـــول إلى ما يسمـــى بالتّداولية الأدبية التي تمثّل مقاربة لدراســـة الخطابات و تحليلها. و هنا تستوقفنا الدّراسات اللّغوية العربية، بما تحمله من خصائص تمثّل فضاء مشتركا بينـها و بين الحقل التداولي، و خاصّة الدراسات البلاغية منها فقد كانت أداة للتّساؤل التّفاعلي بين بنيـة الكلام، و مقتضيات السّياق و المقام، و ما يحيط بالنص من ملابسات، و هي بهـذه الإجراءات تضاهي ما جاءت به التداولية اليوم.

www.manaraa.com

تهدف مداخلتنا إلى مناقشة دور التداولية في فك مغاليق النصوص و الخطابات المختلفة، و من هنا تظهر مجموعة من الإشكاليات حول التداولية باعتبارها توجُّها لسانيا حديثا، فإذا قلنا إنّ التداولية اختارت الانعتاق من قيود البنية و الانفتاح على المعنى في شتى النّصوص و الخطابات، فما هي الإجراءات التي تتكئ عليها التّداولية في تفسيرها و تحليلها؟ و ما مدى فعاليتها و نجاعتها في الكشـــف عن المعاني المختلفــة المتضمنة في الخطاب؟ و لأن المفاهيم و التّصورات التي تنطلق منها التداوليــة موجودة في الدراسات العربية التراثية و المعاصرة، فكيف يمكننا أن نقارب بين التداولية وبين البلاغة العربية من حيث الأدوات الإجرائية و الآليات المستعملة؟

الكلمات المفتاحية: اللسانيات – التداولية – الخطاب الأدبي – الاستعمال – التواصل

Abstract

The deliberative process is an important turning point in the course of the linguistic search, which has remained for a long time in the West, subject to the language structure, closed on it does not care about the circumstances and external conditions, until the deliberative came with a different subtraction of what was adopted by the alnoism; The actual achievement of the language, thanks to the procedural mechanisms and effective strategies to analyze the various letters and interpret them, in the light of the contexts contained therein and according to the data and circumstances that have produced these letters, and their interest in this important aspect of the language and the process of communication Yeh, the horizons have opened more and more to the linguistic lesson to reach the meaning and to focus on the most important thing in the language and the communication process is the production of speech and its interpretation.

It is true that the deliberative is a branch of contemporary linguistic studies that look at the language, but that our treatment of this subject falls within the framework of the application of contemporary linguistic theories to the literary discourse, because as we know the trading trend cares The most important language studies are: linguistics, communication, logic, sociology... But then, at a very high levels, the deliberative language has exceeded the boundaries of languages to be transformed into literature and to the so-called literary deliberative approach that represents the study and analysis of speeches. And here we stop the Arabic language studies, with the characteristics that represent a common space between her and the deliberative field, and especially the rhetorical studies of it, it was a tool of interactive questioning between the structure of speech, the requirements of the context and the denominator, and the surrounding text of the circumstances, which is These actions are comparable to those of today's deliberative.

Our intervention aims to discuss the role of deliberative in deciphering the various texts and speeches, hence a set of problematic issues about the deliberative as a modern linguistic orientation, if we say that the deliberative chose to break away from the constraints of structure and openness to the meaning in various texts and speeches, what Are the procedures that are lean on the deliberative interpretation and analysis? How effective are they in disclosure of the different meanings contained in the discourse? Because the concepts and perceptions from which the deliberative process is based are present in the traditional and contemporary Arab studies, how can we be able to reconcile between the deliberative and the Arabic rhetoric in terms of the procedural tools and the mechanisms used?

Keywords: linguistics – Deliberative – Literary discourse – Use – communication.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

i. **دواعي الانتقال من ضيق البنوية إلى رحابة التداولية**

لعلّ من محفّزات الاهتمام بالمقاربة التداولية للخطاب الأدبي أنّها لم تقصر اهتمامها على مجال الدراسة اللغوية و تحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصلي، بل وسّعت من مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبي، و عملت فيه على تطوير مفاهيمها النظرية و أدواتها التحليلية. و لئن انصرفت البحوث التداولية في البداية إلى الاهتمام بالنّصوص الأدبية التي تنتمي إلى الأجناس "البسيطة" أو الثانوية باعتبارها نصوصا قريبة من المخاطبات العادية التي يطغى عليها البعد التواصلي كالرسائل، إلا أن التداوليّين قد وسّعوا بعد ذلك مجال اهتمامهم ليشمل نصوصا أدبية متنوّعة و ظهرت دراسات تداولية تنظّر للخطاب الأدبي عامة و تعيد طرح قضاياه المعروفة من وجهة نظر مغايرة، أو تتناول نصوصا أدبية مختلفة بالتحليل و التأويل.

و من المعلوم أنّ التداولية قامت كردة فعل على البنيويين الذين يدرسون الخطاب كبنية مغلقة بمعزل عن ملابساته، و إنّ الاعتراض على المنوال التداولي في تحليل الخطاب الأدبي هو اعتراض على المنهج، فمن ناحية يغلب على المنهج التداولي الانصراف إلى تحليل الكلام في بعده التواصلي و الإنجازي.

و هناك من الدارسين من يرى أن هناك تناقضا في دراسة الخطاب الأدبي بمنهج تداولي ذلك أنّ " التداولية تتعلق بتحليل اللغة "العادية" و دراسة الحياة اليومية، أما الأدب فيستعمل خلافا لذلك خطابا تخييليا يحيل على الحياة المتخيلة"1.

و قد أفضى هذا التعارض إلى اتجاه جهود التداوليين في اتجاهين:

1- اتّجاه يسعى إلى تقريب المنهج التداولي من النص الأدبي، و ذلك بالتعديل في مفاهيمه وأدواته وتطويعها لتلائم خصوصية الخطاب الأدبي، و بالوقوف على المعطيات اللسانية و البلاغية أو الانطلاق منها في التحليل.

2- و اتجاه يسعى إلى تقريب النص الأدبي من المنهج التداولي، و ذلك بتغيير النظرة السائدة إلى الأدب (باعتباره خطابا بلا مرجع و لا سياق) و نقد المقاربات الأخرى (كالبنيوية و الأسلوبية)، و إقحام مفاهيم و أبعاد جديدة في فهم النص الأدبي و تأويله كانت مستبعدة (المؤلف و المتلقي و السياق و المرجع والذاتية و المقاصد و التواصل) على نحو يجعل المقاربة التداولية للأدب ممكنة .

ii. **توظيف المفاهيم التداولية في حقل تحليل الخطاب**

لقد توصّلت البحوث التداولية إلى إرساء مفاهيم أساسية في مجال تحليل الخطاب الأدبي أبرزها:

www.manaraa.com

1. **الخطاب الأدبي خطاب في سياق:**

كان من أوّل مهام التداولية أن تعمل على تجاوز التحليل البنوي و ذلك بالتأكيد على أنّ كلّ نص هو نص في السياق. و قد وجد التداوليون في السيميائية خلفية نظرية غير النظرية البنوية، لأنّ السيميائيين أرسوا منهجهم على أساس التمييز بين ثلاثة مستويات أو علاقات للعلامات وهي المستوى النحوي الذي يخصّ علاقات العلامات فيما بينها، والمستوى الدلالي الذي يخصّ علاقة العلامات بالمرجع و المستوى التداولي الذي يخصّ علاقة العلامات بالمستعمل أو المؤوّل. و انطلاقا من ذلك تجاوزت التداولية التعامل البنوي مع النص باعتباره نظاما مستقلا عن السياق أو المرجع إلى التعامل معه باعتباره خطابا أو عملا لغويا مرتبطا بمقام ومنتَجا في سياق. و لئن اختلف التداوليون في تحديد عناصر المقام المتدخّلة في إنتاج النص الأدبي و دلالاته فإنهم لم يخرجوا عن العناصر التي حدّدها رومان ياكبسون(Jackobson) باعتبارها العناصر الأساسية المكوّنة ل "دورة التخاطب"، كما هي موضحة في هذا المخطط:

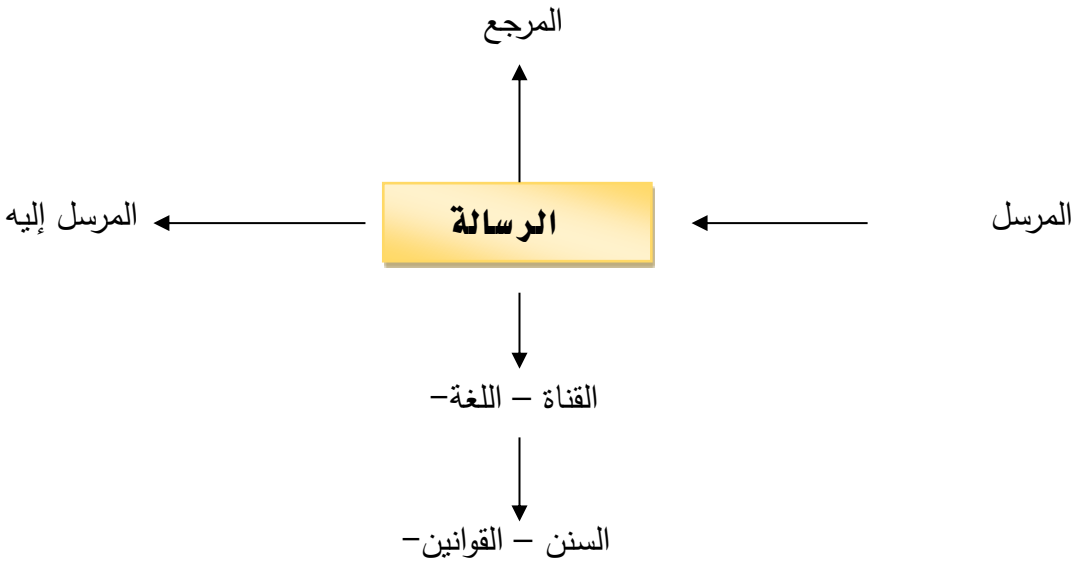

و لئن أقرّ الباحثون التداوليون باختلاف الخطاب التواصلي أو الإبلاغي عن الخطاب الأدبي في مستوى علاقة الخطاب بالواقع أو كيفية إحالته على السياق و درجة حضور عناصر المقام فيه، فإنّ هذا الاختلاف لا ينفي أن يكون للنص الأدبي مقامه أو سياقه الخاص به. فالكاتب مثلا يمكن أن يختفي باعتباره متلفّظا حقيقيا ويبقى حاضرا من خلال "العقود" التداولية النحوية والدلالية التي تنتظم الخطاب. و انطلاقا من هذا المنظور أعيد تأويل بعض النظريات الأدبية/ التواصلية القائمة على المقابلة بين النص الأدبي و النص الإبلاغي. من ذلك أنهم ذهبوا إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنّ مخطط ياكبسون التواصلي يميّز الخطاب الأدبي على أساس أنّ الوظيفة الشعرية هي الوظيفة المهيمنة على الوظائف الأخرى، ولكنه غير مقصود منه أنّ هذا الخطاب بلا مرجع أو سياق، بل المقصود أنّ الباثّ يركّز اهتمام المتقبّل على الرسالة في حدّ ذاتها. و حين نذكر المتكلم والمتلقي و الرسالة و الوظيفة فقد ربطنا النص الأدبي بجملة من العناصر المقامية و إن كان حضورها فيه مختلفا.

و لا شك في أنّ التداولية تقرّ أنّ إحالة الخطاب الأدبي على المقام غير مباشرة غالبا، إلا أنه في أغلب الحالات يحمل آثار السياق الذي كتب فيه وتحضر فيه بعض عناصر المقام التخاطبي أو الوضعية التلفظية التي يجب أن تكون إطارا للتواصل بين المؤلف و القارئ. و مع أنّ التواصل غير مباشر، ففي ذهن الكاتب دائما ملامح قارئ معيّن يفترض أنه يشاركه في المراجع التي يحيل عليها في نصه*، و قد قال محمد خطابي إنّ "الشاعر مرغم على استعمال خيالي لمقتضيات السياق من أجل خلق مقامات داخل قصيدته. ومن هنا لا بد من التمييز بين السياق المعطى وبين السياق المستنبط أو السياق الداخلي"[1] . و يخلص إلى أنّنا لا نستطيع أن نلغي وظيفة التواصل في الأدب.

2. <u>الخطاب الأدبي خطاب ذو مقاصد</u>:

مثلما ذهب التداوليون إلى أنّ النص الأدبي هو نصّ في سياق انطلاقا من قاعدة "لا نصّ بدون سياق" ذهبوا كذلك إلى أنّ النص الأدبي هو نصّ ذو مقاصد انطلاقا من قاعدة "لا نصّ بدون مقاصد". لاسيما بعد أن انتقلت "المقصدية" من نظرية في الفلسفة الظاهراتية (هوسرل) إلى مقولة أساسية من المقولات التداولية، و في هذا يقول بيرلمان في نظريته: "و تتعلق خصائص الباث(الخطيب) بالجانب الشكلي و النفسي الخاص بالمتكلم،و خصائص أخرى يتلون بها الباث انطلاقا من المقام و أحوال السامعين"[2] ، و عليه فالفهم السليم للخطاب لا يقاس بفهم الجمل فقط، بل بالإدراك السليم لمراد المتكلم و مقاصده منه حتى يتحقق الإقناع و التأثير .

يتداخل في خطاب المتكلم أكثر من مقصد، لكنّ المقاصد التي اهتمّ بها التداوليون هي المقاصد المتعلقة بالخطاب أو التخاطب في بعده التواصلي، نذكر منها:

– المقصد اللساني الذي يظهر في التحوّلات الخطابية التي لا تحيل على الحدث في حدّ ذاته بل تحيل على عزم المتكلّم ونيّته السابقة (عزم، نوى، قرّر، أراد، حاول، قصد).

– المقصد التواصلي الذي يهدف من خلاله المتكلّم ربط ميثاق تواصلي مع القارئ من داخل الخطاب نفسه. و أغلب التداوليين يشترطون في عملية التواصل مع القارئ مقصدية تواصلية مسبقة، فلكي يسهل على القارئ فهم دلالة الخطاب ينبغي عليه أوّلا أن يدرك المقصدية التي تنظمه وتوجّه مغزاه.

www.manaraa.com

– المقصد التداولي الذي يتمثل في مختلف الشروط الاستراتيجية التي يقصد إليها المتكلم في عملية تخاطبه مع القارئ، والهدف منها مساعدته وتوجيهه التوجيه الصحيح لفهم دلالة النص أو تأويله تأويلا يناسب سياقه الخطابي، و معرفة هذه المقصدية ضرورية في العملية التداولية.

– المقصد الحواري الذي يتعلق بالوعي الحواري الذي يجسّده الكاتب في خطابه الروائي لإنشاء حوار ثقافي و للخروج من دائرة الذاتية أو الصوت الواحد للانفتاح على الآخر.

تعنى التداولية – كالبلاغة– بدراسة أنواع الأساليب اللغوية و مقامات كل منها، و تعنى بأغراض الأساليب الخبرية*، فالأصل في الخبر– عند علماء البلاغة – أن يلقى لأحد غرضين، إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، و يسمى هذا فائدة الخبر، و إما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، و يسمى هذا لازم الفائدةَ، و لكن قد يخرج الخبر عن هذين الغرضين حين إلقائه إلى أغراض أخرى و دلالات جديدة تفهم أو تستنتج من من سياق الكلام، كإظهار الضعف و إظهار التحسر و الفخر و الإرشاد...، و هي الأغراض التي تفهم من سياق الكلام و مقام المتكلم لا من وضع الكلام. و كذلك هي أغراض الأساليب الإنشائية (ما يخرج عن النداء و النهي و الاستفهام...)، و هي أغراض و مقاصد لا تتحدد إلا من خلال معرفة المقام التواصلي، و بهذا التصور يرى ليتش أنّ " البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما"[1]. فالبلاغة التي تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي دعامة أساسية للدراسات الحديثة لعناياتها بالسياقات المختلفة الذي ينتج فيها الخطاب بربطها بالمتكلم و المتلقي للوصول إلى الهدف من التواصل.

و لقد تحدث أوستن في نظرية أفعال الكلام عن الأساليب الخبرية و الإنشاشية، و عن مكونات الفعل الكلامي، و هذا الأخير حسب أوستن يتكون من :

- فعل لغوي(فعل التلفظ) acte locutoire : و هي الصيغة اللغوية، مثال: النداء في العبارة: يا محمد راجع دروسك
- فعل إنجازي(فعل قوة التلفظ) acte illocutoire : و هو النصح في المثال السابق.
- الفعل التأثيري(فعل أثر التلفظ) acte perlocutoire : و يتمثل في رد فعل المخاطب بالاستجابة أو الرفض.

كما قدم سيرل فيما بعد الصيغة النموذجية للأفعال الكلامية، و هي :

أ . الأفعال الكلامية المباشرة : و هي التي حملت معناها الأصلي دون الحاجة إلى قرائن سياقية، و يكون متى كان هناك تطابق بين معنى الجملة و المعنى الذي يقصده المتكلم وما يفهمه المخاطب، فالمتكلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متى أراد بالضبط.

ب . الأفعال الكلامية غير المباشرة: و هي التي صرفت عن معناها الأصلي إلى معنى آخر يفهم بمجموعة من القرائن السياقية و غيرها و يكون فيه الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يستند إليه المتكلم في قوله فهو أراد خلاف ما يفهم من ظاهر اللفظ وبلّغ أكثر مما قال و مما سمع، فيكون حينئذ الفعل اللغوي المتحقق غير مباشر مثل :هل يعود أحبابنا الذي رحلوا؟

يتضمن هذا القول أداة الاستفهام " هل " التي تستعمل للتصديق فتكون الإجابة : بنعم أو لا، إلا أن هذا المقام لا يراد به حقيقة الاستفهام، و على المخاطب أن يدرك ذلك، فهو لا يستفهم عن إمكانية عودة الأحباب و إنما يتمنى رجوعهم لأن فعل الرجوع هنا مستحيل لوفاة الأجباب، فالمتكلم أراد التمني و توسل إليه بالاستفهام و هذا يتضمن :

- التمني : كفعل أولي مقصود بدلالة غير حرفية.
- الإستفهام : كفعل ثانوي غير مقصود بدلالة حرفية.

3. الخطاب الأدبي خطاب تعاوني بين المؤلف و القارئ

التسليم بحضور البعد التواصلي في الخطاب الأدبي يقتضي تبيّن طريقته المخصوصة في التواصل مع القارئ (مقارنة بالخطاب العادي). و إذا كان الجميع يسلّم بأنّ التواصل في الأدب غير مباشر فكيف يتواصل الكاتب مع القارئ في النص الأدبي؟

يتحقّق التواصل الأدبي وفق المنظور التداولي من خلال مفاهيم و آليات استخدمتها التداولية في تحليل النصوص الأدبية، من أبرزها مفهوم التعاون بين الكاتب و القارئ أو "الميثاق الأدبي". ومفهوم التعاون الذي أرساه غرايس باعتباره مبدأً من مبادئ التخاطب يتحقّق من خلال حسن ظنّ المخاطب بالمتكلّم وافتراضه أنّ الخطاب منسجم كيفما كانت طريقة تقديمه. و قد تحوّل هذا المفهوم بعد ذلك من مبدأ ينظّم عملية التخاطب إلى آلية من آليات النص الأدبي يستمدّ منها انسجامه ويحقّق التواصل مع القارئ.

و قد ذهب "إيزر" إلى أنّ المؤلّف يوجه خطابه إلى قارئ ضمني أو مفترض يتقاسم معه معرفة خلفية و مجموعة من المراجع أو ما يسمّيه بالسجل النصي أو المرجعية المشتركة بالإضافة إلى مواقع اللا تحديد(الفراغات النصية التي ينبغي على القارئ ملأها)، و كلها وسائل يوفّرها المؤلّف للقارئ في نصه لإنجاح العملية التواصلية[1].

إنّ مفهوم "القارئ المتعاون" يعني أنّ تفكيك النص هو نشاط تعاوني لا يقف على مقاصد الكاتب بل على القرائن التي يوفّرها في النص ليساعد القارئ على فهم النص و يوجّهه إلى مفاتيحه. و من هذا المنطلق يمكّن النشاط التعاوني القارئَ من استخلاص ما لا يقوله النص صراحة و ملء فراغاته على نحو يحدث فيه أثرا محدّدا، و هذا

www.manaraa.com

من الوسائل التي تقوّي عملية التواصل بين الكاتب والقارئ وتحقّق مبدأ التعاون، لأنّ مجهود القارئ في الفهم والتأويل، يجعله يشعر بمشاركة المؤلّف في إنتاج دلالة النص ولا يكتفي بالكشف عن دلالة النص الكامنة فيه، وهذا ما ذهب إليه جيرار جينات أيضا من اعتبار دلالات النص الأدبي نتاجا لالتقاء مقصدية الكاتب واهتمام القارئ، كما ذهب فان ديجك (Van Dijk)* إلى أنّ الدور الموكل إلى القارئ أكبر من دور الكاتب فـ"بينما يبدو المؤلف حرّا في تحديد بناء ملفوظه فإنّ القارئ هو المطالب بالتعاون بالشكل الأقصى (يتعرّف على معلومة إضافية– يقدّم تفسيرات جديدة– يفترض فرضيات)"[2].

4. <u>الخطاب الأدبي خطاب حواري:</u>

ينطلق الاتجاه الحواري في تحليل الخطاب الأدبي من مبدأ أساسي، و هو أنّ كل ملفوظ هو بالضرورة حواري و ميخائيل باختين الذي أعطاه بعدا أدبيا بالانصراف عن تحليل الخطاب عامة إلى تحليل الخطاب الروائي. و في هذا يرى تودوروف في مقدمة كتابه "ميخائيل باختين و مبدأ الحوارية" على أنّ أهم مظهر من مظاهر التلفّظ هو حواريته، كان يحيل على المنطلق الذي بنى عليه باختين هذا المفهوم و هو أنّ "كلّ خطاب هو خطاب حواري موجّه إلى شخص قادر على فهمه والإجابة عليه إجابة حقيقية أو افتراضية"[2] ، و ينبّه بالتالي إلى أنّ باختين يقدّم تصوّرا جديدا للأسلوب لا يقول بأنّ الأسلوب هو الرجل نفسه، بل يقول بأنّ الأسلوب هو رجلان على الأقلّ. و هذا الحوار لا يعني لديه مجرّد تداخل بين النصوص أو الأصوات بل هو أشكال حضور الآخر في خطاب المتكلم، لا صوتا فحسب بل وعيا و إيديولوجيا أيضا. و من هذا المنظور يجسم كلّ تلفظ مهما كانت درجة ذاتيته تفاعلا و تحاورا مع تلفّظ الآخر على أساس أنّ اللفظ بطبيعته يحمل بداخله نواة تواصلية بين الأنا و الآخر.

iii. <u>نماذج تطبيقية عن الاشتغال التداولي في الخطاب الأدبي</u>

يخرج الخبر عن الوصفية فيكون إنجازيا، و هو ما عبّرت عنه البلاغة العربية بالأغراض البلاغية، و منها مثلا:

– الاسترحام و الاستعطاف ، مثل : قول إبراهيم المهدي :

أتيت جرما شنيعاً و أنت للعفو أهل** فإن عفوت فأهل و إن قتلت فعدل

فهدف الشاعر من الخبر في البيت السابق ليس إفادتنا بارتكابه الذنوب، بل الغرض البلاغي من الخبر هو طلب المغفرة .

–الحث على السعي و الجد: كقول الشاعر:

و ليس أخو الحاجات من بات نائما ** و لكن أخوها من يبيت على وجل

و قول شوقي: و ما نيـل المطالب بالتمني**و لكن تؤخذ الدنيـا غلابا فالغرض من الخبر في البيتين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السابقين ليس الإخبار بشيء مجهول لنا، بل الغرض البلاغي الحث على السعي و الجد و الاجتهاد للوصول إلى المبتغى.

– العتاب: كقول الشّاعر: يا أخي أين عهد ذاك الإخاء** أين ما كان بيننا من صفاء.

–التّحقير: كقول الشّاعر: فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ** أطنين أجنحة الذّباب يضير ؟

كما أن للصيغ التركيبية أبعادا تداولية تفرض على السامع أن يفهمها وفق متطلبات ذلك التركيب و منها:

–التقديم و التأخير: وقد تكلم عبد القاهر الجرجاني عن التقديم و الأخير و فصل فيهما تفصيلا، و من المواطن التي فصلها :

الاستفهام بالهمزة: يرى أن المسؤول عنه مقدّم لا محالة سواء كان اسما أم فعلا مثل: فإذا بدأت بالفعل كان الشك فيه مثل :أقلتَ؟ و إذا بدأت بالاسم كان الشك في الفاعل أأنت قلت هذا؟ كما يكون الاستفهام بالهمزة لعدة أغراض:

كأن تقول لأحد: أمحمد أمرك بالفعل أم علي، فأنت لا تريد إثبات الفعل لمحمد أو علي و إنما تريد أن تضيق عليه ليقر بفعله.

التشبيه: الخطاب الأدبي يحاكي الواقع من خلال التشبيه و المماثلة، مثال التشبيه الضمني تشبيه لا يأتي على الصورة المعهودة و لا يُصرح فيه بالمشبه و المشبه به، بل يُفهم من مضمون الكلام(السياق)، مثال قول الشاعر: من يهن يسهل الهوان عليه** ما لجرحٍ بميتٍ إيــلام

و هنا شبه الشاعر الشخص الذي يهون عليه كرامته ويقبل الذل دائمًا بجسد الميت، فلو جئت بسكين وقطعته فلن يتألم أو يصرخ، و بذلك يكون الشطر الثاني تشبيهًا ضمنيًا حيث جاء كبرهان لما قاله في الشطر الأول.

– الاستعارة:

– إِنْ رَأَيْتِ الْبَحْرَ يَطْغَى الْمَوْجُ فِيهِ وَيَثُورْ

– أَو سَمِعْتِ الْبَحْرَ يَبْكِي عِنْدَ أَقْدَامِ الصُّخُورْ

– تَرْقُبِي الْمَوْجَ إِلَى أَنْ يَحْبِسَ الْمَوْجُ هَدِيرَهْ

– وتُنَاجِي الْبَحْرَ حَتَّى يَسْمَعَ الْبَحْرُ زَفِيرَهْ

– رَاجِعاً مِنْكِ إِلَيْه

– هَل مِنَ الْأَمْوَاجِ جِئْتِ؟

رسم الشاعر في الأبيات لوحة كلية تجسم مشاعر الحيرة التي تتملكه في بحثه عن ماهية و حقيقة النفس، حيث

www.manaraa.com

حيث صوّر الشاعر نفسه بامرأة يحاورها و يخاطبها، و قد تضمنت المقطوعة الشعرية عدة صور بيانية و أساليب خبرية و إنشائية، منها:

(الْبَحْرَ يَطْغَى الْمَوْجُ فِيهِ ويَثُوْرْ) : استعارة مكنية، حيث صوّر الشاعر الموج بإنسان يطغى ويثور ، وسر جمال الصورة : التشخيص ، و توحي الصورة بشدة الاضطراب .

(الْبَحْرَ يَبْكِي) : استعارة مكنية ، حيث صوّر الشاعر البحر بإنسان يبكي ، وسر جمال الصورة : التشخيص .

(عِنْدَ أَقْدَامِ الصُّخُورْ) : استعارة مكنية ، حيث صوّر الشاعر الصخور بأشخاص لها أقدام ، و سر جمال الصورة التشخيص.

(يَحْبِسَ الْمَوْجُ هَدِيرَهْ) : استعارتان مكنيتان ، حيث صوّر الشاعر الموج بسجّان يحبس ، وهديره بسجين يَحبسه ، وسر جمال الصورة : التشخيص ، و توحي الصورة بهدوء البحر و سكونه ، و يجوز أن تكون كناية عن هدوء البحر وسكونه .

(و تُنَاجِي الْبَحْرَ) : استعارتان مكنيتان، حيث صوّر الشاعر النفس بامرأة تناجِي، و صور البحر بإنسان يناجَى ، وسر جمال الصورتين : التشخيص ، وتوحي الصورة بامتزاج الشاعر مع الطبيعة (سمة من سمات المدارس الرومانتيكية الامتزاج مع الطبيعة) .

(حَتَّى يَسْمَعَ الْبَحْرُ زَفِيرَهْ) : استعارة مكنية ثانية للبحر (صورة ممتدة)، حيث صوّر الشاعر البحر بإنسان له أذن يسمع بها أنفاسه وتنهداته، و سر جمال الصورة : التشخيص .

(زَفِيرَهْ) : استعارة تصريحية حيث صوّر الشاعر صوت الموج بالزفير ؛ لتوضيح معاناة البحر.

(هَل مِنَ الْأَمْوَاجِ جِئْت؟) : أسلوب إنشائي ← صيغته الاستفهام ← غرضه : إظهار الحيرة و الدهشة و الترقب و الرغبة الشديدة المتلهفة في معرفة الإجابة عن حقيقة النفس.

كما أن هناك العديد من مباحث البلاغة العربية التي لا يمكن فهمها إلا بالاعتماد على مقاصد المتكلمين، و مثال ذلك: الفروق في الخبر، الوصل و الفصل، التورية و غيرها... و هو ما يؤهلها للوقوف بندية مطلقة في وجه كل ما تطرحه التداولية الحديثة.

خاتمة:

تُعرّف التداولية بأنّها دراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال، أي دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، باعتبارها خطابا صادرا من متكلم، و موجه إلى مخاطب، بلفظ محدد و في مقام محدد لتحقيق غرض تواصلي محدّد، و قد يكون هذا الخطاب لساني كما قد يكون أدبي، و هذا الأخير الذي يعتبر خطابا بعيدا عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب التواصلي العادي و قد كشفت مداخلتنا عن أثر التداولية في فك شفرات الخطاب الأدبي، و مدى نجاحها في الكشف عن المعاني المختلفة من خلال تطبيق آليات المنهج التداولي على الخطابات الأدبية بالاعتماد على مصطلحات محورية يتطلبها هذا المنهج كالقصدية و السياق و التواصل و الأفعال الإنجازية على سبيل المثال لا الحصر، لنختبر مدى فعاليتها في عملية تأويل الخطاب الأدبي.

إحالات البحث

[1] - Elfie Poulin: Approche pragmatique de la littérature. Ed. L'Harmattan, 2006. p 8.

*- و هذا ما ذهب إليه إيزر في نظرية التلقي، لما أشار إلى القارئ الضمني .

[1] - محمد خطابي: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب. ص 303.

[2] - قعموسي عبد القادر، أسس العملية الخطابية بين البلاغة العربية و النظرية التداولية، جامعة تيارت، الجزائر، ص132.

*- نلمس البعد التداولي في أضرب الخبر أيضا و التي يتجلى فيها دور المقام، فحين يكون المتلقي خالي الذهن نوجه إليه الخبر ابتدائي، و إن كان مترددا أو شاكا فنوجه إليه خبر طلبي، أما إن كان منكرا فالخبر يلقى إليه الخبر الإنكاري

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص89.

[1]- علي حمودين و المسعود قاسم، إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلة الأثر، العدد25، جوان2016، ص310،311.

*- و هو من أبرز المنظّرين للتداولية الأدبية.

[2] - فرناند هالين: التداولية، ترجمة عز الدين العوف، مجلة الآداب العالمية، العدد 125، سنة 2006، ص 73.

[2] -T. Todorov: Mickhail Bakhtine, le principe dialogique. Éd. Seuil, 1881. p 298.

مراجع البحث

1 - محمد خطابي: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991.

2 - قعموسي عبد القادر، أسس العملية الخطابية بين البلاغة العربية و النظرية التداولية، جامعة تيارت، الجزائر، دط، دت.

3- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، 1992.

4-علي حمودين و المسعود قاسم، إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلة الأثر، العدد25، جوان2016.

5- فرناند هالين: التداولية، ترجمة عز الدين العوف، مجلة الآداب العالمية، العدد 125، سنة 2006.

6- Elfie Poulin: Approche pragmatique de la littérature. Ed. L'Harmattan, 2006.

7 -T. Todorov: Mickhail Bakhtine, le principe dialogique. Éd. Seuil, 1881.

❋❋❋

www.manaraa.com